

ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين :

خلفيات وتفاصيل وتحليل

غسان كنفاني

عادة مصلحتها في ظروف مغايرة مختلفة عن الاستثناء الفلسطيني الخاص بالتحالف شبه الكامل مع الامبريالية . وقد نشأ ذلك الحد غير العادي من التناقض عن وجود « عميل ملائم أكثر » للامبريالية البريطانية هو الحركة الصهيونية ، جرى توظيفه بدل تلك الطبقات .

ان هاتين المسألتين المتشابكتين قد جعلتا لنضال شعب فلسطين خصوصية لم تكن في ذلك الحين تشبه تلك الخصائص التي كانت لنضالات الشعوب العربية المحيطة بفلسطين ، وقد أدت هذه الخصوصية الى نتائج خطيرة ، منها مثلا اندفاع هذا النوع من القيادات الانتعابية الى ممارسة او قبول ممارسة ارتى اشكال النضال السياسي (الكناح المسلح) ، ومنها اصرار هذه القيادات - من حيث الشكل على الاقل - على رفع الشعارات التقدمية ، وكونها - رغم كل ما فعلت - مثلت مرحلة مهمة من النضال الوطني الفلسطيني . على أن ما هو أكثر اهمية هو تفسير تلك الاستطالة غير العادية التي عاشتها القيادات الانتعابية الدينية على رأس حركة الجماهير (من ١٩١٨ - ١٩٤٨) ، ذلك ان التحول في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي في فلسطين ، والذي كان يحدث بسرعة مذهلة ، كان يصيب بالدرجة الاولى القطاع اليهودي على حساب البورجوازية الفلسطينية المتوسطة والصغيرة وخصوصا على حساب الطبقة العاملة العربية ، ان تحول الاقتصاد من اقطاعي الى رأسمالي كان يجري بتركز متزايد في يد الحركة الصهيونية وبالتالي في يد المجتمع اليهودي في فلسطين .

بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ تلقت الحركة الثورية الفلسطينية ضربة ساحقة في النقاط الثلاث التي تبلورت منذ ذاك بصفتها المعضلة الاساسية التي يواجهها شعب فلسطين: القيادات الرجعية المحلية، والانظمة العربية المحيطة بفلسطين ، والحلف الامبريالي - الصهيوني ، وسوف يترك هذا « العدو » المثلث بصماته على تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية منذ ١٩٣٦ بصورة اوضح مما كانت في أي وقت مضى ، وحتى الهزيمة الثالثة التي تلحق الجماهير الفلسطينية والعربية في ١٩٦٧ . وستحاول هذه الدراسة ان تركز بصورة خاصة على هذه النقاط الثلاث وعلى الجدلية المتضمنة في كل منها على حدة والقائمة فيما بينها جميعا .

ان عنف التجربة الوطنية الفلسطينية التي تفجرت منذ ١٩١٨ وكانت تترافق بصورة او باخرى مع الكناح المسلح ، لم تستطع ان تعكس نفسها على البنية الفوقية للحركة الوطنية ، التي ظلت تحت هيمنة القيادات شبه الانتعابية - شبه الدينية ، ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى سببين متداخلين : أ - وجود وفاعلية الحركة الصهيونية التي ضاعفت من ثقل وهيمنة التحدي القومي على جميع اشكال التحديات الاخرى ، وعكس هذا التحدي نفسه على الطبقات الكادحة العربية التي كانت تعاني من الغزو الصهيوني المدعوم من الامبريالية البريطانية معاناة يومية مباشرة . ب - وجود حد من التناقض بين القيادات العائلية الانتعابية الدينية العربية وبين الامبريالية البريطانية ، يجعل دفع الثورة الى مدى معين من مصلحة هذه الطبقات التي تجسد